فلسطينيّو 48

وحرب الإبادة على غـــزّة

مساءلة الصمت والفاعليّة السياسيّة

تحريـــر:
همّت زعـبي وعرين هـوّاري

مدى الكرمل
المـركـز العـربـي للـدراسـات الاجتماعية التطبيقية

المحتويات

المقدّمة **5**

همّت زعبي وعرين هوّاري

الباب الأول: مداخلات افتتاحية **13**

الحرب على غزّة... إبادة للإنسان والمكان 15

إلهام شمالي

فلسطينيّو 48 والحرب؛ المكان والمكانة 21

مهنّد مصطفى

الباب الثاني: مقـالات **25**

مواقف المجتمع العربيّ تجاه الحرب على غزّة وإسقاطاتها السياسيّة: تحليل استطلاع رأي عامّ- مدى الكرمل 27

امطانس شحادة

قصّة "كوخ العم توم" والداخل الفلسطينيّ 51

حبيب مخّول

بين قبضة الملاحَقة ومحدوديّة الفاعليّة: الطلبة فلسطـينيّـو الـ 48 في الجامعات الإسرائيليّة في أعقاب حرب الإبادة على قِطاع غزّة 73

يوسف طه

الباب الثالث : دراسـات **97**

فلسطينيّو الـ 48 وصفقة التبادل بعد السابع من أكتوبر 2023: بين مواطَنة العدوّ والمواطَنة العارية 99

محمّد عوّاد

الالتحام والانفصال في علاقة الداخل مع لحظة غزّة: عن أيّ تَوقٍ وعن أيّ طَوقٍ نكشف؟ **135**
حنين زعبي

مَفْـهَمَة الإبادة الجماعيّة في غزّة- تحليل نصوص مجلّة "فسحة ثقافيّة فلسطينيّة" منذ السابع من أكتوبر 2023 **175**
جاد قعدان

أصوات مكتومة وفضاءات معسكرة: الأطباء الفلسطينيون في المستشفيات الإسرائيليّة بعد السابع من أكتوبر **213**
غادة مجادلة

المساهِمون في الكتاب **253**

الحرب على غزّة...
إبادة للإنسان والمكان

إلهام شمالي

أيّتها السيّدات الكريمات، أيّها السادة الكرام،

من أرض قِطاع غزّة أحيّيكم جميعًا، وأبعث لكم سلامًا من أبناء شعبنا الفلسطينيّ من وسط خيام اللجوء والمعاناة والتشريد في ظلّ استمرار العدوان الهمجيّ، الذي تتعرّض له الإنسانيّة في قِطاعنا الحبيب من مجازر جماعيّة، ومجاعة في شمال قِطاع غزّة بلغت أشدّها، ومجاعة باتت ملموسة بين خيام النازحين في الجنوب.

أنا بينكم عبْر مؤتمركم هذا للمرّة الثانية، واسمحوا لي بأن أشكر طاقم العمل في مدى الكرمل، الذي أصرّ على وصول صوتي لكم؛ لتتكامل صورة الكلّ الفلسطينيّ في جلسات مؤتمر مدى الكرمل لعام 2024.

أنا هنا، وقد سبق لي أن التحقت ببرنامج سمينار الدكتوراة الذي يعقده المركز في كلّ عام. منذ انطلاقة السمينار في سنواته الأولى، حرص المركز على تلافي الحواجز الجغرافيّة بضمّ طلبة الدكتوراة من قِطاع غزّة، ممّا أتاح لي فرصة المشارَكة آنذاك، ومن موقعي هذا أستطيع القول إنّ هذا السمينار يفتح أمام الطلبة الجادّين بوّابة البحث العلميّ الرصين، عبْر صقل مهاراتهم البحثيّة، وترسيخ شبكة من العلاقات العلميّة مع الأكاديميّين من ذوي المدارس المختلفة في مجال العلوم الإنسانيّة.

---

* أُلقِيت هذه الكلمة المصوَّرة في 29 حزيران 2024، وعليه فإنّ المعطيات والمعلومات الواردة فيها تعكس الوضع في الحرب على قِطاع غزّة وقتذاك.

غزّة حيال إبادة إنسانيّة

اليوم ومن غزّة أقول للحضور جميعًا إنّ ما يحدث في قِطاع غزّة من حرب شعواء ليس إبادة جماعيّة للبشر فحسْب، بل هي إبادة لكلّ مكوّنات الحياة -إذ هي عمليّة لتجريد الفلسطينيّين من الوعي والفكر والثقافة والتعليم- ليتوقّف الزمان عند سرديّة إسرائيليّة مَقيتة. فالحرب الحاليّة هي حرب الرواية والسرديّة التي تستهدف الوجود الفلسطينيّ، وتمثّل امتدادًا لجريمة النكبة الفلسطينيّة التي لم تتوقّف منذ ستّة وسبعين عامًا.

وضعت الحرب الفلسطينيّين في غزّة حيال تحدّيات كبيرة، وصعوبات جمّة، على المستوى الأمنيّ، والاجتماعيّ، والصحّيّ، والنفسيّ، في ظلّ انعدام الأمن الغذائيّ، وزيادة حدّة الفقر والبطالة، وزادت معدّلات الشعور بالخوف والقلق على المستقبل، ممّا سبب العديد من الاضطرابات النفسيّة؛ وقد نزح نحو مليون ونصف مليون فلسطينيّ تقريبًا، داخل كلّ منهم رواية فلسطينيّة مؤلمة عن النزوح والتشريد. وشُطِبت عائلات كاملة من السجلّ المدنيّ لأربعة أجيال، حيث بلغ عدد الشهداء أكثر من سبعة وثلاثين ألف فلسطينيّ، من بينهم عشرة آلاف امرأة فلسطينيّة نتيجة الاستهداف المباشر للمباني ومراكز الإيواء.

لم يكن واقع المرأة قبل الحرب أفضل حالًا في ظلّ تردّي الأوضاع الاقتصاديّة بسبب الحصار والانقسام، لكن وضعها خلال الحرب شديد الصعوبة والتعقيد. فمن نجت من الموت (وَفْق الإحصاءات الأمميّة تُقتل كلّ ساعة امرأتان)، أَو من الاعتقال (إذ هناك ما يقارب خمسين أسيرة اعتُقِلن تحت مسمّى مقاتل غير شرعيّ وبعضهنّ تعرّضن للاغتصاب)، تعاني بسبب فقدان البيت الآمن، ونتيجة التنقُّل والنزوح لعدّة مرّات.

تعيش معظم النساء الآن في مراكز الإيواء، التي تفتقر إلى أدنى مقوِّمات الحياة، وتعاني الأرامل -وعددهنّ ينيف على ثلاثة آلاف أرملة- صعوباتٍ قاسيةً؛ فهنّ يخاطرن بحياتهنّ في سبيل إطعام أطفالهنّ وإعالة أُسَرهن.

يعاني الغزّيّون والغزّيّات من الجوع بينما تُلقى المساعَدات من الجوّ، ليصل بعضها إلى خارج حدود قِطاع غزّة، أو يغرق في البحر؛ فتذوب تلك المساعدات في الماء قبل أن تصل إلى أيديهم. يتحوّل الطعام إلى سراب، وتغرق معها أحلام أطفال ينتظرون آباءهم، الذين قد لا يعودون أمام طيران يتربّص بهم.

تستخدم إسرائيل جميع الأسلحة التي تملكها في حرب الإبادة التي تشنّها على الشعب الفلسطينيّ. إنّها حرب تدميريّة شاملة، هدفها تدمير روح المقاوَمة التي أصبحت روح المدينة. إنّها هجمةٌ وحشيّة هدفها الوحيد إزالة الخصم من الوجود، وقصفٌ وحشيّ جرف البشر أحياءً وأمواتًا، وطرد الناس من بيوتهم وسرقها. إنّه كرنفال الموت في قِطاع غزّة على مدار تسعة أشهر.

على الصعيد الاقتصاديّ، انتقل اقتصاد قِطاع غزّة من الاقتصاد المنكوب إلى المدمَّر؛ فهو اقتصاد متوقّف إلى أجَل غير معروف، وكلّ ما بقي هو اقتصاد البقاء على قيد الحياة. اليوم، من غير الواقعيّ ولا من الـمُجدي الحديث عن مجْمَل الخسائر الاقتصاديّة، أمام عملاق عسكريّ يحرّكه اقتصاد حجمه خمسة عشر ضعفًا ممّا لدى الطرف الفلسطينيّ. ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال الحديث عن مفهوم التعافي الاقتصاديّ حتّى مع سكوت أصوات المدافع، وانتهاء الحرب؛ إذ قد يستغرق استئناف النشاط الاقتصاديّ سنوات عدّة.

الإبادة التعليميّة

في خلفية الحرب العسكريّة، تشنّ إسرائيل حربًا خفيّة تتعمّد من خلالها بثّ التجهيل والتدمير. لأوّل مرّة في تاريخ الصراع الفلسطينيّ- الإسرائيليّ، تتوقّف العمليّة التعليميّة في غزّة بمراحلها كافّة، ويُحْرَم الطلبة من السنة الدراسيّة، وعددهم 88 ألف طالب جامعي و630 ألف طالب في مختلف مراحل التعليم المدرسي، من بينهم 39 ألف طالب في مرحلة الثانويّة العامّة. لم يَحْدث ذاك في حرب عام 1948، ولا في حرب عام 1967.

يسعى جيش الاحتلال إلى تجريد قِطاع غزّة من ثقافته ومتنفَّسه العلميّ والثقافيّ تجريدًا تامًّا، حيث تعرّضت ستّ جامعات فلسطينيّة في القِطاع للتدمير الكلّيّ بسبب القصف المتعمَّد، منها جامعة الأزهر، والجامعة الإسلاميّة، وجامعة الأقصى، ونُسِفت جامعة فلسطين كلّيًّا، وحُوِّل بعضها إلى ثكنات عسكريّة ومراكز اعتقال مؤقّت، كجامعة الإسراء التي احتُلّت مدّة سبعين يومًا، ومن ثَمّ نُسِفت هي والمشفى الجامعيّ الأوّل والوحيد في قِطاع غزّة في كانون الثاني 2024، بالإضافة إلى المتحف الوطنيّ الذي كان يضمّ ثلاثة آلاف قطعة أثريّة.

إلى جانب ذلك، دُمّر عدد من الكلّيّات التقنيّة والمهنيّة، ومراكز البحث العلميّ، ومراكز الأبحاث والدراسات، والمراكز والمؤسَّسات الثقافيّة بما تحويه من ثروة معرفيّة، ومن أهمّ تلك المراكز مركزُ التخطيط الفلسطينيّ، ومركزُ رشاد الشوّا الثقافيّ. وبموازاة ذلك دُمّرت جميع مكتبات قطِاع غزّة، بما فيها مكتبات الجامعات والبلديّات.

أما تصفية الكفاءات العلميّة والأدبيّة والأكاديميّة فما هي إلّا حلقة في سلسلة طويلة من استهداف كلّ مَن يتركون أثرًا في المجتمع الفلسطينيّ من أصحاب التخصُّصات النادرة. فغيابهم يُحْدِث فراغًا كبيرًا، ومن الصعب إيجاد بديل لهم إلّا بعد سنوات طويلة؛ ذلك أنّهم يشكّلون مرتكَزات العمل الأكاديميّ في القِطاع، وهو ما يعني حرمان المجتمع الفلسطينيّ من أكبر قَدْر من الرموز المؤثّرة والشخصيّات الفاعلة، فلا يمكن النظر إلى اغتيال تلك النُّخَب على أنّه عمل عسكريّ عشوائيّ، بل هي ضربات مقصودة تهدف إلى قتل المستقبَل أيضًا.

يبرز من بين قائمة الشهداء ما يزيد عن مئة أستاذ جامعيّ، منهم سبعة عشر من حَمَلة درجة پـروفيسور من ذوي التخصُّصات النوعيّة، واغتيل ثلاثة رؤساء جامعات، من بينهم عالم الفيزياء الـپـروفيسور سفيان تايه الذي استشهد هو وأفراد أسرته، وهو يحمل درجة الأستاذيّة في تخصُّص الفيزياء النظريّة والرياضيّات التطبيقيّة، وسبق له أن صُنِّف من جامعة ستانفورد الأمريكيّة عام 2021 ضمن أفضل 2% من الباحثين في العالم.

إبادة للهُويّة والمكان

ثمّة محاولات إسرائيليّة لطمس الهُويّة الوطنيّة الفلسطينيّة، ومحو ذاكرة الشعب الفلسطينيّ الجماعيّة، وتدمير كلّ شواهد وجوده وارتباطه بالأرض؛ فالثقافة هي الجين الوراثيّ للهُويّة الوطنيّة، وجوهر السرديّة التاريخيّة الفلسطينيّة والمرجعيّة الحقوقيّة والسياسيّة.

لم تَسْلم آثار مدينة غزّة التاريخيّة من فعل العدوان والقصف الهمجيّ، وهي محاولة لاقتلاع التاريخ الفلسطينيّ وللنَّيْل من تراث المدينة العريق الذي يفوق عمر دولة الاحتلال.

قصفت إسرائيل أكثر من مئة وخمسة وتسعين موقعًا تراثيًّا من رموز المدينة، والمنازل، والمتاحف الأثريّة بما فيها أرشيف غزّة المركزيّ، الذي يحوي 150 عامًا من التاريخ، والمساجد والكنائس ككنيسة القدّيس برفيريوس للروم الأرثوذكس المجاورة لمسجد كاتب ولاية، أبرز معالم غزّة القديمة في العهد العثمانيّ، والمواقع الأثريّة التاريخيّة كقصر الباشا التاريخيّ- الأثر المملوكيّ في القِطاع الذي يحوي 100,000 قطعة أثريّة.

ختامًا

إنّ ما يجري في قِطاع غزّة ما هو إلّا إبادة مركَّبة ترمي إلى تفكيك أسس المجتمع الفلسطينيّ عبْر تدمير آمال وأحلام الشباب الفلسطينيّ، بغية إحداث تغييرات اجتماعيّة وسياسيّة؛ فإسرائيل تريد في نهاية الحرب مجتمَعًا عاجزًا عن المطالَبة بحقوقه، وتبتغي تصميم مجتمَع فاقد القدرة على صناعة مستقبله، وهو ما يرسّخ فكرة هجرة الكفاءات، لتفريغ القِطاعات العلميّة والصحّيّة والثقافيّة والاقتصاديّة منهم.

لكن على الرغم من ازدياد الدخان والرماد، سيخرج شعبنا قويًّا متجدّدًا متمسّكًا بأرضه، مُحِبًّا للحياة كطائر العنقاء الذي يحيا بواسطة رماده.

تعتمد معظم فصول هذا الكتاب على الأوراق التي قُدِّمت خلال مؤتمر مدى الكرمل السنويّ عام 2024، الذي عُقِد بعد مرور بضعة أشهر على بداية حرب الإبادة على قِطاع غزّة، وجاء تحت عنوان "فلسطينيّو 48 والحرب على غزّة". جاء المؤتمر في لحظة ترسّخَ فيها الخوف وساد فيها الصمت وبرز الفعل السياسيّ من خلال غياب هذا الفعل! كذلك كشفت هذه اللحظة عن اهتزاز مفاهيم كانت تُعتبَر ضمنًا قواعدَ ناظمةً للعلاقة مع الدولة، وفي مقدّمتها معنى المواطَنة وحدود شرعيّة الفعل السياسيّ.

تسعى فصول هذا الكتاب إلى تقديم تشخيص لأثر الحرب على غزّة على فلسطينيّي الـ48 وعلى فاعليّتهم السياسيّة أو غيابها. وهو محاولة لوصف الانكفاء والانخراط لا كموقفَيْن متقابلَيْن، بل كساحتَيْن متداخلتَيْن في صراع الوعي والسياسة: بين الخوف والغضب، بين الصمت والرغبة في الفعل، بين إعادةِ إنتاج شروط الإخضاع والبحثِ عن أفق سياسيّ جديد. إنّ أوراق هذا الكتاب، التي تتنوّع بين التحليل السياسيّ والنفسيّ والثقافيّ والفلسفيّ، تنطلق من وعي أنّ غزّة هي المركز الذي يعيد ترتيب أسئلة الفلسطينيّين في الداخل عن الذات والموقع والمعنى السياسيّ، كما تفرض على العالم كافّة، وعلى أحراره ومثقّفيه النقديّين تحديدًا، إعادةَ النظر في قناعاتهم ومفاهيمهم وفي المرجعيّات التي ينطلقون منها والقوى التي يعوّلون عليها.

The ’48 Palestinians and the Genocidal War on Gaza: A Critical Inquiry into Silence and Political Agency.

Edited by: Himmat Zoubi and Areen Hawari

ISBN: 978-965-7308-33-2

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية